الدرس الخامس

دورة الســــيرة النبــــــوية

مـــن كتــــاب

إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب احداث السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم ،

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين

مرحبا بكم أيها الجمع الطيب المبارك

وهذا هو الدرس الخامس من دروس السيرة النبوية من كتاب إسعاد البرية في السيرة النبوية

كانت بنو قريظة أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ ، لذلك فعل بهم النبي ﷺ ما لم يفعله بإخوانهم من اليهود

وكان سبب غزو بني قريظة أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة الخندق نقضت بنو قريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين فلما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق إلى المدينة جاءه جبريل عليه السلام عند الظهر وهو يغتسل

فقال : أوضعت السلاح؟ والله إن الملائكة لن تضع أسلحتها فانهض بمن معك إلى بني قريظة فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب ، فسار جبريل عليه السلام في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار ، وأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في المسلمين : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة فسارع أصحاب رسول الله ﷺ بامتثال أمره وخرجوا إلى بني قريظة

وأعطى النبي ﷺ الراية [ لعلي بن أبي طالب ] رضي الله عنه

واستخلف على المدينة [ ابن أم مكتوم ] رضي الله عنه ، وظل رسول الله ﷺ محاصراً لبني قريظة [ خمسا وعشرين ] ليلة ، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فلما اشتد عليهم الحصار وأيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يقاتلهم

قال [كعب بن أسد] لليهود : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثة فخذوا بما شئتم منها

قالوا : ما هن؟

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون به على : دمائكم ، وأموالكم ، وأبنائكم ، ونسائكم

فقالت اليهود : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره

فقال كعب : فإذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وإن انتصرنا فلعمري لنجدن النساء والأبناء أي نتزوج النساء فينجبن لنا أبناء آخرين

قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين؟

فما خير العيش بعدهم

أي بعد نسائهم وأبنائهم

قال : فإن أبيتم علي هذه فالليلة ليلة السبت وإنه قد عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة

قالوا : أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عنك من المسخ

فقال كعب : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما ، ثم بعث بنو قريظة إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا ، وكان أبو لبابة رضي الله عنه من الأوس وكانت بنو قريظة حلفاء للأوس ، فأرسل رسول الله ﷺ أبا لبابة إلى بني قريظة فلما رأوه بكوا له فرق لهم

وقالوا له : يا أبا لبابة ؛ أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فقال لهم : نعم ؛ وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح أي سيذبحون

ثم علم أبو لبابة رضي الله عنه أنه خان بذلك الله ورسوله فلم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى أتى مسجد المدينة فربط نفسه بسارية المسجد وحلف ألا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ

قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ، ثم تاب الله عز وجل عليه وحله رسول الله ﷺ بيده ، ثم نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ فجاءت الأوس إلى رسول الله ﷺ

 فقالوا : يا رسول الله ﷺ أحسن إلى موالينا

أي بني قريظة

فحكم فيهم رسول الله ﷺ سعدا بن معاذ رضي الله عنه وكان من الأوس ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وكان بالمدينة لم يخرج معهم لجرح كان به فلما جاء سعد بن معاذ رضي الله عنه طلبوا منه أن يحسن إلى بني قريظة

فقال سعد : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم

فلما أقبل سعد رضي الله عنه ، قال النبي ﷺ لأصحابه : قوموا إلى سيدكم. فلما نزل

قال : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال

فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات ، فأمر رسول الله ﷺ بقتل كل الرجال البالغين من بني قريظة ومن لم يبلغ منهم ألحق بالذرية

أي بالأطفال ، ثم قسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، ولما عاد سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى خيمته من المسجد النبوي بعد أن حكم في بني قريظة بالقتل والسبي انفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه ، ولما وضعت جنازته قال رسول الله ﷺ : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، ولما حملت جنازته قال المنافقون: ما أخف جنازته فبلغ ذلك النبي ﷺ

فقال : إن الملائكة كانت تحمله

ولما انتهى النبي ﷺ من غزوة بني قريظة وكان ، أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي ممن جمع وحرض الأحزاب على رسول الله ﷺ ولم يقتل مع بني قريظة كما قتل صاحبه حُيي بن أخطب

فأتت الخزرج إلى رسول الله ﷺ واستأذنوه أن يقتلوه فأذن لهم ، فخرج إليه رجال من الخزرج وأتوه ليلا في خيبر في دار له ووجدوه في غرفة عالية فلما صعدوا إليه خرجت إليه امرأته

فقالت : من أنتم ؟

قالوا : ناس من العرب نلتمس الطعام .. فقالت لهم : هذا صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا الباب عليهم فضربوه بأسيافهم ثم خرجوا مسرعين نحو المدينة ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه بقتل عدو الله وكل واحد منهم يدعي قتله

فقال النبي ﷺ : أروني أسيافكم .. فلما أروه إياها

قال لسيف [ عبد الله بن أنيس ] رضي الله عنه : هذا الذي قتله أرى فيه أثر الطعام ، وأتى وفد [ ابن عبد قيس ] ثلاثة عشر رجلا إلى النبي ﷺ

فقال النبي ﷺ : من الوفد؟

قالوا : ربيعة

قال ﷺ : مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى

فقالوا : يا رسول الله ، إنا نأتيك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ولا نستطيع إلا أن نأتيك في الشهر الحرام فمرنا بأمر فصل

أي واضح ثابت نخبر به من وراءنا

أي من تركنا من قومنا ، وندخل به الجنة

وسألوه : عما يحل ويحرم من الأشربة ... فأخبرهم رسول الله ﷺ

ثم قدم وفد [ أشجع ] على رسول الله ﷺ وهم مئة رجل وأمر لهم رسول الله ﷺ بأحمال التمر فحلفهم ورجعوا إلى بلادهم ثم أسلموا بعد ذلك ، وسابق رسول الله ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة بين الخيل التي أضمرت من (الحفياء ) إلى [ ثنية الوداع ] ، وكان بينهما سبعة أميال

الحفياء : موضع بالقرب من المدينة

والخيل التي أضمرت هي : التي ذهب رهلها فقوي لحمها واشتد جريها

وسابق ﷺ بين الخيل التي لم تضمر من ( ثنية الوداع ) إلى [ مسجد بني زريق ] وكان بينهما ميل ، وكان [ عبد الله بن عمر ] رضي الله عنهما فيمن سابق بها

المراد بالمسابقة بالخيل : كونها مركوبة لا مجرد إرسال الفرسين بغير راكب

في العاشر من المحرم من السنة السادسة من الهجرة

بعث الرسول ﷺ [ محمد بن مسلمة ] في ثلاثين راكبا إلى القرطاء وذلك ليؤدب بني بكر لأنهم تآمروا على قتل رسول الله ﷺ

وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن يشن على بني بكر الغارة فكان يسير بالليل ويستريح بالنهار

فأغار عليهم فقتل نفرا منهم وأسر [ ثمامة بن أثال الحنفي ] وهرب سائر بني بكر وغنم محمد بن مسلمة رضي الله عنه نعما وشاها ورجع إلى المدينة ، فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة التي جاء بها محمد بن مسلمة خمسة أخماس ، ولما قدم المدينة ربطوا ثمامة بن أثال بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ

فقال : ما عندك يا ثمامة؟

فقال : عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر

أي : إن تقتلني تقتل ذا قدر يشتفى بدمه وقتله وذلك لرياسته وفضيلته

وإن تحسن إلي بالعفو عنهم ، فالعفو من شيم الكرام ولن يضيع معروفك عندي

قال ثمامة : وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت ، فترك حتى كان الغد   
ثم قال له رسول الله ﷺ : ما عندك يا ثمامة؟  
 فقال ثمامة : ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد

فقال : ما عندك يا ثمامة ؟

فقال ثمامة : عندي ما قلت لك

فقال ﷺ : أطلقوا ثمامة ، فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ ، فبشره رسول الله ﷺ بمغفرة ذنوبه وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قيل له صبوت

أي وتركت دينك ودين آبائك

فقال لهم : لا ، لكني أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ ، واصطفى النبي ﷺ من سبي بني قريظة [ ريحانة بنت زيد بن عمر ] ولم تزل عند رسول الله ﷺ حتى ماتت في مرجعه من حجة الوداع فدفنها في البقيع ، وبعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول عكاشة بن محصن رضي الله عنه في أربعين رجلا إلى الغمر ، فخرج سريعا رضي الله عنه ، فلما علم المشركون به هربوا فنزل على مياههم وبعث الطلائع فوجدوا مئتي بعير فساقوها إلى المدينة ولم يصب منهم أحد ولم يلقوا حربا

ثم بعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر محمد بن مسلمة رضي الله عنه في عشرة نفر إلى بني ثعلبة وهم بذي القصة فأتوهم ليلا ، فكمن بنو ثعلبة حتى نام محمد بن مسلمة وأصحابه فاجتمعوا حولهم فما شعر المسلمين إلا بالنبل قد خالطتهم ، فصاح محمد بن مسلمة رضي الله عنه بأصحابه : السلاح فقاموا فتراموا ساعة من الليل بالنبل ثم قاتلهم بنو ثعلبة بالرماح فقتلوهم جميعا إلا محمدا بن مسلمة رضي الله عنه وقع جريحا لا يتحرك وجردوهم من الثياب وانطلقوا ، فمر رجل مسلم على القتلى فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون فلما سمعه محمد بن مسلمة تحرك له فعرض على محمد طعاما وشرابا وحمله حتى قدم به المدينة ، ثم بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في أربعين رجلا فساروا ليلتهم مشاة ووافوا مصارع أصحاب محمد بن مسلمة مع الصبح فأغاروا على بني ثعلبة فهربوا منهم في الجبال وأسروا رجلا واحدا فأسلم

ووجدوا نعما وشاء فساقوها إلى المدينة ورجعوا ، ثم بعث رسول الله ﷺ [ زيدا بن حارثة ] إلى بني سليم فسار حتى أتى [ الجموم ] فأصابوا امرأة من [ مزينة ] فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا نعما وشاء وأسرى رجعوا إلى المدينة ، ولما بلغ رسول الله ﷺ أن عيرا لقريش أقبلت من الشام بعث : زيدا بن حارثة رضي الله عنه إلى العيص ومعه سبعون ومئة راكب وذلك ليتعرض لعير قريش فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسروا ناسا ممن كان في العير ، منهم أبو العاص بن الربيع فلما قدموا بهم المدينة استجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺفأجارته ،ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الصبح: إني قد أجرت أبا العاص

فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟

قالوا : نعم

فقال ﷺ : فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت يد على من سواهم

أي يجب على كل واحد نصرة أخيه

ومعنى يجير عليهم أدناهم : أي الأدنى كالأعلى يعطي الأمان لمن شاء

معنى قد أجرنا من أجارت : أي أمنا من أمنت

فلما انصرف النبي ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب ، فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه من المال ففعل ﷺ ورد عليه ما أخذ منه ثم كلم رسول الله أصحابه فردوا إليه كل شيء أخذوه منه

فلما رجع أبو العاص إلى مكة أدى إلى كل ذي حق حقه

وقال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم شيء؟

قالوا : لا والله

قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لقد أسلمت بالمدينة وما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم

وفي شهر جمادى الأولى خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان ليغزوهم ومعه مئة رجل وأظهر ﷺ أنه يريد الشام وذلك ليصيب المشركين وهم في غفلة ، واستخلف ﷺ على المدينة [ ابن أم مكتوم ] ثم أسرع السير حتى انتهى إلى مصاب أصحاب الرجيع فترحم رسول الله عليهم ودعا لهم ، فلما سمعت بنو لحيان بمجيء رسول الله ﷺ هربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر عليهم رسول الله ﷺ فأقام يومين بأرضهم وبعث السرايا فلم يقدروا عليهم ، فسار ﷺ إلى عسفان ثم رجع ﷺ إلى المدينة ، وبعث رسول الله ﷺ زيدا بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة، فخرج رضي الله عنه في خمسة عشر رجلا حتى إذا كانوا بالطرف أصاب نعما وشاء وهربت بنو ثعلبة وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم ، ورجع زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه إلى المدينة وخرج بنو ثعلبة في البحث عنه فلم يلحقوا به

في شهر جمادى الآخرة من السنة السادسة من الهجرة

لما رجع دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الله ، فلما بلغ واديا في أرض بني جذام ، لقيه الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد ومعهم ناس من جذام بحسما فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه ، فسمع بذلك نفر منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية فردوه عليه ، ولما رجع دحية إلى رسول الله ﷺ أخبره الخبر فبعث رسول الله ﷺ حينئذ زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية فهجموا على القوم مع الصبح وقتلوا [ الهنيد ] وابنه وثلاثة رجال وغنموا نعما وشاء كثيرة ثم رجع إلى المدينة

وفي رجب من السنة السادسة من الهجرة أراد النبي ﷺ أن يرهب أعداء الله تعالى وينذرهم بأن يخلوا بينه وبين دعوة الناس لعبادة الله عز وجل وحده ، فأرسل ﷺ عدة سرايا منها ، سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى وادي القرى ولكنه لم يلق حربا

وفي شهر شعبان من السنة السادسة من الهجرة

أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن يتجهز للخروج إلى دومة الجندل ليدعوهم إلى الإسلام ، فلما أصبح ﷺ أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه وأمره أن يغزو في سبيل الله ويقاتلوا من كفر بالله ولا يخونوا في المغانم ولا يغدروا ولا يمثلوا ولا يقتلوا وليدا

وقال له ﷺ : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم فلما قدم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دومة الجندل، ظل يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام وقد كانوا أبوا أول ما قدم يعطونه إلا السيف ، فأسلم في اليوم الثالث ملكهم الأصبغ بن عمر الكلبي وكان نصرانيا فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن رضي الله عنه تماضر بنت الأصبغ

وفي شهر شعبان من السنة السادسة من الهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن بني سعد بن بكر بفدك يريدون أن يساعدوا يهود خيبر فبعث إليهم ﷺ عليا بن أبي طالب ومعه مئة رجل فأغاروا عليهم فغنموا بعيرا وشاء وهربت بنو سعد بالنساء وقدم علي رضي الله عنه بمن معه المدينة ولم يلقوا حربا

وفي رمضان من السنة السادسة من الهجرة

خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ فلما اقترب من وادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معه ، فقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه المدينة فلما برئ من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى ثم رجع إلى المدينة

وفي رمضان من السنة السادسة من الهجرة

أصاب الجدب أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك إليه

وقالوا : يا رسول الله قحط المطر وأجدبت الأرض ، وهلك المال

فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر وكبر وحمد الله عز وجل

ثم قال : إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم

أي وقت زمانه

قد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم

ثم قال ﷺ: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، لا إله إلا الله ، يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ، ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين ثم رفع يديه ﷺ ، فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب رداءه ﷺ وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت ، وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله تعالى ، فما لبث أن أتاه الناس يشكون منه الغرق من كثرة الأمطار

فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله اللهم حوالينا لا علينا ، فانكشف السحاب عن المدينة فصار حواليها

فقال رسول الله ﷺ : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، ولما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليهم ، أسيرا بن زارم] فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بعث ، عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر سرا ليأتي بخبر أسير ، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره بأن أسيرا يجمع الناس لغزو رسول الله ﷺ ، فحث رسول الله ﷺ الناس فخرج له ثلاثون رجلا فأمر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلما قدموا على أسير

قالوا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك فلم يزالوا به حتى تبعهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى إذا اقتربوا من خيبر ندم أسير ، ثم قتل عبد الله بن أنيس ] رضي الله عنه بعد أن هم أسير بقتله ، ثم قتل كل مسلم رديفه من اليهود غير رجل واحد هرب ثم رجعوا إلى المدينة

وقال لهم رسول الله ﷺ لما أخبروه الخبر : قد نجاكم الله من القوم الظالمين

وفي شوال من السنة السادسة من الهجرة

قدم ثمانية نفر من عكل وعرينة على رسول الله ﷺ فأظهروا الإسلام

ثم قالوا بعد مدة : يا نبي الله ، إنا كنا أهل ضرع

يعني أهل ماشية

لم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة

أي كرهوها لمرض أصابهم

فأمر رسول الله ﷺ بإبل وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا فكفروا بعد إسلامهم وقطعوا يد ورجل راعي النبي ﷺ ، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات وأخذوا الإبل ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بعث في آثارهم عشرين فارسا وأمر عليهم [ كرزا بن جابر ] رضي الله عنه .. فأدركوهم فأحاطوا بهم ، وأسروهم ، وربطوهم ، وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة.، فأمر رسول الله ﷺ بهم ففقؤوا أعينهم بمسامير محمية وقطعوا أيديهم وأرجلهم .. وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم وأنزل الله عز وجل على رسوله

قوله تعالى : إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عذاب عظيم

فلم يفقأ ﷺ عينا بمسامير محمية بعد ذلك ، وقبل صلح الحديبية أرسل رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار وذلك ليرصدوا إبلا لقريش وزودهم ﷺ جرابا من تمر

والجراب : هو الوعاء المصنوع من جلد ولم يجد ﷺ لهم غير هذا الجراب

فكان أبو عبيدة يعطي كل واحد من الجنود تمرة .. فكان كل واحد يمص تمرته كما يمص الصبي ثم يشرب عليها من الماء فتكفيه يومه إلى الليل فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط

والخبط هذا : ما يتساقط من الشجر إذا ضربتها بالعصا

وكانوا يضربون الخبط بعصيهم ثم يبلونه بالماء فيأكلونه فسمي جيش الخبط، فانطلقوا على ساحل البحر فألقى إليهم البحر حوتا ضخما ميتا لم يرى مثله فأتوه فإذا هو العنبر

فقال أبو عبيدة : ميتة

ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأكلوا منها نصف شهر حتى سمنوا وكانوا يدهنون من دهنها وشحمها حتى رجعت إليهم قواهم

وكانوا يغترفون الدهن من داخل عين الحوت بالقلال ويقطعون منه القطع مثل الثور ، وأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم داخل عينه ، هذا لكبر عينه ، وأخذ ضلعا من أضلاعه فنصبه ثم ركب أطول رجل منهم أعظم بعير معهم فمر تحته وتزودوا من لحمه إلى المدينة

فلما قدموا المدينة أتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له

فقال : هو رزق أخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء فتطعمونه؟

فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فأكله

فقدم على رسول الله ﷺ تسعة رهط من بني عبس فأسلموا ودعا له رسول الله ﷺ بخير ، ولما بلغه أن عيرا لقريش أقبلت من الشام ، بعث إليهم هذا الوفد

فقالوا : يا رسول الله ، كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟

فقال ﷺ : أنا عاشركم

ولا زلنا في السنة السادسة من الهجرة في شهر ذي القعدة ، خرج رسول الله ﷺ معتمرا لا يريد حربا ً، واستنفر ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب حتي يخرجوا معه ، لأنه يخشى من قريش أن ، يعرضوا له بحرب ، أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه ﷺ كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وساق ﷺ معه الهدي وأحرم بالعمرة وذلك حتى يأمن المشركون من حربه ﷺ وليعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له ولم يأت للقتال ، ولما كان النبي ﷺ بذي الحليفة أحرم بالعمرة وقلد الهدي وأشعره، وبعث ﷺ أمامه رجلاً ليأتيه بخبر قريش ، فلما كان ﷺ قريباً من مكة أتاه هذا الرجل

فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل

أي أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها

ولا يرجعون حتى يقاتلوا رسول الله ﷺ ويمنعوه من الدخول إلى مكة

قال هذا الرجل : وجمعوا لك يا رسول الله جموعا وقد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي قوة وهو مكان بالقرب من مكة

قال : وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، ومانعوك ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى قراع الغميم ، فاستشار النبي ﷺ أصحابه

فقال : أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ

أي مسلوبين منهزمين

قال ﷺ : وَإِنْ يجيئوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا الله، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَم ُ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ نقَاتِلُ أَحَدًا ، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ   
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَرُوحُوا إِذًن فراحوا ، ثم سلك النبي ﷺ طريقا وعرا وذلك ليتجنب ملاقاة المشركين فلما رأت خيل قريش غبار جيش المسلمين قد خالفوا عن طريقهم رجع خالد ومن معه راكضين نذيرا إلى قريش ثم نزل النبي ﷺ بأقصى الحديبية ، ولما استقر النبي ﷺ بالحديبية أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي ومعه نفر من خزاعة وكانوا محل نصح رسول الله ﷺ

فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فما الذي جاء بك؟

قال رسول الله ﷺ : إناَ لَمْ نَجِئْ نقَاتِلُ أَحَدًا ، ولكنا جِئْنَا مُعْتَمِرِين َ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة

أي جعلت بيننا وبينهم مدة صلح وهدنة

قال ﷺ : ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر

أي ؛ انتصرت عليهم

قال : فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا

أي : استراحوا من جهد الحرب

قال : وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم علي أمري هذا حتى تنفرد سالفتي

أي : حتى أقتل

قال : ولينفذن الله أمره

فقال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشا

قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا

وقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء

وقال ذو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول فأخبرهم بما قاله النبي ﷺ فاتهموه وخاطبوه بما يكره

وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب

فقام عروة بن مسعود فقال : يا قوم ، ألست بالوالد؟

🎐أي : مثل الوالد في الشفقة والمحبة

فقالوا : بلى

قال : أولست بالولد؟

أي : مثل الولد في النصح لوالده

قالوا : بلى

قال : فهل تتهمونني؟

قالوا : لا

قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟

بلحوا : أي : امتنعوا

قالوا : بلى

قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد

أي : خصلة خير

قال : اقبلوها ودعوني آتيه

فقالوا له : إيته

فأتى عروة بن مسعود النبي ﷺ فكلم النبي ﷺ مثل ما كلمه هدين ، ثم رجع عروة إلى أصحابه فقال : يا قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ﷺ ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها

فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتيه

فقال : إيته

فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال ﷺ : هَذَا فُلان ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ

قوله : يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ أي : يعظمون ما أهدى إليهم البيت احتراماً للبيت وليسوا ممن يستحلها ، والْبُدْنَ : هي الإبل والبقر

وقوله : فَابْعَثُوهَا أي : أثيروها أمامه فبعثت له واستقبله الناس يلبون بالعمرة، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ

قَالَ : رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْت ِ

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص

فقال : دعوني آتيه

فقالوا: إيته

فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ : هذا مكرز وهو رجل فاجر

أي : غادر

فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لبدين وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول اللّه ﷺ ولا زلنا في السنة السادسة من الهجرة في صلح الحديبية ، لما تتابع رسل قريش على رسول الله ﷺ أحب ﷺ أن يبعث إلى كفار قريش رجلا من أصحابه يخبرهم بأنهم ما جاؤوا إلا للعمرة ، فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إليهم

فقال : يا رسول الله ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضبوا لي إن أوذيت ، فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها وإنه مبلغ ما أردت

فدعا ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش

وقال : أخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وادعهم إلى الإسلام

وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله مظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان ، فانطلق عثمان رضي الله تعالى عنه نحو مكة حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش

فقالوا له : أين تريد؟

قال : بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام وأخبركم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عمارا

فقالوا : قد سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك وإن شئت أن تطوف بالبيت فطف

فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ

وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان : خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به وقال رسول الله ﷺ : ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون

أي ممنوعون من دخول الحرم

فقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟

قال رسول الله ﷺ : ذاك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه ، ثم بعثت قريش أربعين رجلا ليصيبوا من أصحاب رسول الله ﷺ فتراموا بالنبل والحجارة وكانت معركة وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم ، وبلغ ﷺ أن عثمان قد قتل

فقال ﷺ : لا نبرح حتى نناجز القوم ، أي نقاتلهم ، فدعا ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وبايع المسلمون رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة على ألا يفروا فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال : هذه عن عثمان ، ولما تمت البيعة رجع عثمان رضي الله عنه

فقال له المسلمون : اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟

فقال عثمان : بئس ما ظننتم بي والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله ﷺ ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت

فقال المسلمون : رسول الله ﷺ كان أعلمنا بالله ، وأحسننا ظنا

ثم بعثت قريش سهيلا بن عمر إلى رسول الله ﷺ

وقالوا له : إيت محمدا فصالحه ولا يكن في صلحه ألا يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا ، فأتى سهيل بن عمر رسول اللهﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا

قال : قد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل لقد سهل لكم من أمركم

فقال سهيل بن عمر للنبي ﷺ : هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فقال له النبي ﷺ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب

فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم

فقال النبي ﷺ : اكتب باسمك اللهم

ثم قال : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيلا بن عمر

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم إنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله

فقال النبي ﷺ : والله أني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله، وفعل ذلك ﷺ لأنه قال ، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها

فقال له النبي ﷺ : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به

فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا فجأة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب

فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا

قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟

وجرى الصلح بين المسلمين وبين أهل مكة على وضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم البعض وأن يرجع النبي ﷺ عنهم عامه ذلك حتى إذا كان العام المقبل قدمها ﷺ وخلوا بينه وبين مكة فيقيم بها ثلاثة وألا يدخل النبي ﷺ مكة إلا بسلاح راكب والسيوف في القرب ، ومن أتانا من أصحابنا فلن نرده عليك ، ومن أتاك من أصحابنا رددته علينا ، وأنه لا سرقة ولا خيانة

فقال الصحابة : يا رسول الله نعطيهم هذا؟

قال ﷺ : من أتاهم منا فأبعده الله ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجا ومخرجا وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمر يمشي في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين المسلمين

فقال سهيل : يا محمد ، أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي

فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد

أي لم نتم العهد بيننا بعد

قال سهيل : فوالله إذن لن أصالحك على شيء أبدا

فقال النبي ﷺ : فأجزه لي

قال سهيل : ما أنا بمجيزه لك وأبى أن يجيزه للنبي ﷺ

فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟

وكان قد عذب رضي الله عنه عذابا شديدا في مكة

وقال ﷺ : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه

ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه ، كان عمر رضي الله تعالى عنه يرجو أن يأخذ أبو جندل السيف فيضرب به أباه ولكنه لم يفعل ، فأتى عمر النبي ﷺ

فقال له : ألست نبي الله حقا؟

فقال النبي ﷺ : بلى

فقال عمر : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

فقال النبي ﷺ : بلى

فقال عمر : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟

فقال النبي ﷺ : بلى

فقال عمر : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟

🎐الدنية : أي المذلة والنقيصة

أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال النبي ﷺ : يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ولن يضيعني الله أبدا

قال عمر : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

فقال النبي ﷺ : بلى . فأخبرتك أنا نأتيه العام؟

فقال عمر : لا

فقال النبي ﷺ : فإنك آتيه ومطوف به

فأتى عمر رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه فقال له : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا؟

فقال أبا بكر : بلى

فقال عمر : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

فقال أبو بكر : بلى

فقال عمر : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟

فقال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره ولن يضيعه الله أبدا فاستمسك بغرزه

أي بأمره ﷺ فوالله إنه على الحق

فقال عمر : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

فقال أبو بكر : بلى ، أفأخبرك بأنك تأتيه العام؟

فقال عمر : لا

فقال أبو بكر : فإنك آتيه ومطوف به

فكان عمر رضي الله عنه يكثر من الأعمال الصالحة ليكفر الله عز وجل عنه ما مضى من التوقف في الامتثال لأمر رسول الله ﷺ ابتداء ، لما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة العقد بينه وبين مشركي مكة

قال ﷺ لأصحابه : قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا

فَمَا قَامَ أحد مِنْهُمْ

فقال ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فدَخَلَ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وذَكَرَ لَهَا ﷺ مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ وأنهم لم يمتثلوا أمره

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَة َ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؛ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟

اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ

فَخَرَجَ ﷺ فَفعل كما قالت أم سلمة فَلَمَّا رَأَوْا المسلمون ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا من شدة الازدحام علي النحر والحلق ، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ من مكة مهاجرات إلي النبي ﷺ فأبى ﷺ أن يردهن إلي قريش ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل قوله : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"

فَطَلَّقَ عُمَرُ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ ، وبينما المسلمون في الحديبية إذ أصابهم مطر ذات ليلة فصلي ﷺ بهم الصبح ثم أَقْبَلَ عَلى أصحابه

فَقالَ : أتَدْرُونَ مَاذا قَالَ رَبُّكُم ْ؟

فقَالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم

فقَال َﷺ : قال الله أَصْبَحَ مِنْ عِبادي مُؤْمِنٌ بِيَ وَكافِرٌ بي ، فَأَمّا مَنْ قَالَ مُطِرْنا برَحْمَةِ الله وبرزق الله وبِفَضْلِ الله فهو مُؤْمِنٌ بِيَ كافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمّا مَنْ قَالَ مُطِرْنا بِنَجمِ كَذا فهو َمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَب كافِرٌ بِيَ، ثم رجع النبي ﷺ إلي المدينة فجاءه رجل من قريش وهو : أبو بصير ، فأرسل المشركون رجلين للبحث عنه ، فأتوا النبي ﷺ فقالا : العهد الذي جعلت لنا

أي ؛ نطالبك بالوفاء بالعهد الذي أعطيته لنا

فدفع النبي ﷺ أبا بصير إلي الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم

فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأري سيفك هذا يافلان جيدا ً فاستله الآخر

وقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت

فقال أبو بصير : أريني أنظر إليه ، فلما تمكن أبو بصير من السيف قتل أحدهما وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو

فقال رسول الله ﷺ َ: لقد رأي هذا ذعرا

أي ؛ فزعا وخوفا

فلما انتهى إلى النبي ﷺ ، قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول

أي ؛ سيقتلني أبو بصير ، فجاء أبو بصير

فقال : يانبي الله ؛ قد والله أوفى الله ذمتك

أي ؛ ليس عليك عتابا منهم في ما صنعت أنا

قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم

فقال النبي ﷺ َ: وَيْلُ أُمِّهِ! مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ

أي لو كان أحد معه ينصره سيكون سبباً في إيقاظ حرب

فلما سمع أبو بصير ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى ساحل البحر ، وفر أبو جندل بن سهيل من المشركين فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم جماعة ، فكانوا لا يسمعون بتجارة خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلي النبي ﷺ تناشده بالله والرحم

أي ؛ يسألونه بحق الله تعالي وبحق القرابة بينهم وبينه أن يرسل إلى أبي بصير وأصحابه بالامتناع عن إيذاء قريش فمن أتاه فهو آمن

فأرسل النبي ﷺ إليهم بذلك ، وفي مرجع النبي ﷺ من الحديبية نزلت عليه سورة : الفتح

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ☆لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ

فقال النبي ﷺ :َ لقد نزِلت عليّ آية أَحبّ إِليّ من الدنيا جميعاً

ثم قرأها النبي ﷺ ، فقالوا هنيئاً مريئا يا نبي الله ، لقد بين الله لك ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا؟

فنزل عليه قوله تعالى : "لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا"

فقال عمر للنبي ﷺ : يارسول الله أوفتح هو؟

قال : نعم ، وفي السنة السادسة من الهجرة فرض الله عزَّ وجل على النبي ﷺ وعلى أمته الحج

والحج : أحد أركان الإسلام ، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة ، وإنما فرضه الله سبحانه وتعالى ليجتمع المسلمون من جميع الأقطار فيتجهوا إلي الله ويبتهلوا إليه أن : يؤيدهم بنصره ، ويعينهم علي اتباع دينه القويم ، ولا خلاف بين أهل العلم أن النبي ﷺَ لم يحج بعد هجرته إلي المدينة سوى حجة واحدة وهي : حجة الوداع

ولا خلاف أنها كانت في سنة عشر من الهجرة ، وقد حج ﷺ قبل الهجرة أكثر من مرة علي الصحيح من أقوال أهل العلم ، ومتي وجب الحج علي مسلم وجب عليه أن يسارع إليه

لقوله تعالى : وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

ولقول النبي ﷺ : مَنْ أَرَادَ الحُجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ

لما رجع النبي ﷺ من الحديبية وهدأت الأحوال وجدت الدعوة الإسلامية متنفسا ومجالا للتقدم ، فكتب ﷺ كتبا إلى ملوك العالم وأمراء العرب وكتب ﷺ :إلى كسرى والى قيصر والى النجاشي

وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، واهتم ﷺ اهتماما كبيرا فاختار لكل واحد منهم رسولا يليق به ، ويعرف لغته ، وبلاده

فقيل للنبي ﷺ : إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما فاتخذ ﷺ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله وختم به الكتب

وقد دلت هذه الكتب على أن هذا الدين ليس دين العرب خاصة أو دين الجزيرة العربيه ، وإنما هو دين البشرية ، ودين الإنسانية قاطبة ، ومن هؤلاء الملوك الذين كتب إليهم رسول الله ﷺ ملك الروم هرقل ، وملك فارس كسرى ، وملك الحبشة النجاشي ، وملك مصر المقوقس ، ولما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد مسرعا فزعا يجر رداءه ، وكان كسوفها في أول النهار على مقدار رمحين أو ثلاثة من طلوعها فتقدم ﷺ فصل ركعتين

فقرأ في الأولى : بفاتحة الكتاب وسورة طويلة جهر بالقراءة ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم رفع رأسه من الركوع فأطال القيام وهو دون القيام الأول ، ثم أخذ ﷺ في القراءة ، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع رأسه من الركوع ، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الأخرى مثلما فعل في الأولى ، فكان في كل ركعة ركوعان وسجودان ، فاستكمل ﷺ في الركعتين أربع ركعات وأربع سجدات ثم انصرف ﷺ وقد انجلت الشمس

فخطب الناس : فحمد الله ، وأثنى عليه

ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، وكبروا ، وصلوا ، وتصدقوا حتى يفرج عنكم ، قد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته ، حتى لقد رأيت أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت ، ورأيت فيها عمر بن لحي وهو الذي سيب السوائب

أي الذي سن لهم هذه العادة :وهي ترك النوق بلا ركوب تقربا لآلهتهم

 ثم قال ﷺ : يا أمة محمد ؛ والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ؛ والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وقد اختلف أهل العلم في عدد الكسوفات التي صلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الكسوف ، والصواب أن النبي ﷺ صلى في كسوفات كثيرة

في السنة السادسة من الهجرة نزل حكم الظهار على رسول الله ﷺ

وقد كان الرجل في الجاهلية إذا قال لأمرأته أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ، وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت وكان متزوجا من ابنة عمه وهي : خولة بنت مالك

فقال لها : أنت علي كظهر أمي

وقال : ما أراك إلا حرمت علي

وقالت له : مثل ذلك

فقال لها : انطلقي إلى رسول الله ﷺ

فجاءت رسول الله ﷺ تشكو إليه وقالت : يا رسول الله ، أكل شبابي ونخرت له بطني ( أي أكثرت له الأولاد ) حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكوا إليك فجادلها رسول الله ﷺ فيه

وقال لها : اتق الله فإنه ابن عمك

فقال لها رسول الله ﷺ : قد حرمت عليه

فجعلت تقول : والله ما ذكر طلاقا فكلما قال لها رسول الله ﷺ : قد حرمت عليه

تقول : والله ما ذكر طلاقا فهذه كانت مجادلتها ، ما برحت خولة حتى

نزل القرآن

"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ بَصِيرٌ"

إلى قول الله :" وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ"

من سورة المجادلة

فقال ﷺ : يعتق رقبة

فقالت : لا يجد

فقال ﷺ : يصوم شهرين متتابعين

فقالت : يا رسول الله ؛ إنه شيخ كبير ما به من صيام

فقال ﷺ : فليطعم ستين مسكينا

فقالت : ما عنده من شيء يتصدق به

فأوتي رسول الله ﷺ بعرق من تمر - أي بستين صاعا

قالت يا رسول الله : فأنا أعينه بعرق آخر

فقال ﷺ : قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي إلى ابن عمك ، وقدم رفاعة بن زيد الجذامي وافدا على رسول الله ﷺ في الهدنة بينه وبين قريش وأهدى للنبي ﷺ عبدا وأسلم وأقام بالمدينة

ثم سأل النبي ﷺ : أن يكتب معه كتابا ، فكتب له رسول الله ﷺ كتابا ، فلما قدم رفاعة على قومه بكتاب النبي ﷺ قرأه عليهم فأجابوه وأسلموا

أسئلة الدرس

السؤال الأول

لماذا غزا رسول الله ﷺ بني قريظة ؟

السؤال الثاني

من الذي حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة؟

السؤال الثالث

لماذا أرسل رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى القرطاء؟

السؤال الرابع

لماذا سميت سرية الخبط بهذا الاسم؟

السؤال الخامس

ماذا فعل رسول الله ﷺ مع العرنيين؟

السؤال السادس

كم كان عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية؟

السؤال السابع

ما سبب بيعة الرضوان؟

السؤال الثامن

ما قصة مجيء أبي بصير إلى رسول الله ﷺ لما رجع إلى المدينة بعد صلح الحديبية؟

يكتفى بكتابة خمسة أسطر

السؤال التاسع

اذكر الملوك الذين كتب إليهم رسول الله ﷺ كتبا يدعوهم فيها إلى الإسلام

هذا وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته